﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾ [الحجر: 34]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا أخبر اللّه تعالى في الآية السابقة عن جوابِ إبليس؛ كانَ كأنَّه قيل: فبِماذا أُجيب؛ فجاءت هذه الآية:

من بلاغة القرآن استدرارُ سمعِ المخاطَبين وحثُّهم على الإصغاء لما يهمُّهم

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَجِيمٞ﴾: أصلُ الرَّجْم: الرَّمْيُ بالحِجارَة، والرِّجامُ: الحِجارَةُ، يُقالُ: رُجِمَ فُلانٌ؛ إذا ضُرِبَ بالحِجارَة[1]. والرَّجْم أيضًا: السَّبُّ والشَّتْم؛ لأنَّه رَمْيٌ بالقول القبيح الذي يشبه الحجارة في قسوته، ومنه قَولُه تعالى حكاية عَن أبي إبراهيم لإبراهيم عليه السلام: ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: 46]، أي: لأَسُبَّنَّكَ وأَشْتُمَنَّكَ، والرَّجْم كذلك: اسْم لما يُرْجَمُ بِهِ الشَّيْءُ المرجومُ، وَجمعه: رُجومٌ[2]، والرَّجيمُ أيضًا: الـمُحَقَّرُ؛ لأنَّ العَرَبَ كانوا إذا احْتَقَروا أحدًا؛ حَصَبوهُ بِالحَصْباءِ[3]، والمرادُ بالرَّجيم في الآية: الـمَطْرودُ، وهو كنايَةٌ عَنِ الحَقارَةِ.

المَعْنى الإجْماليُّ:

استحقاق إبليس بعصيان أمر الله تعالى الطَّردَ

استحقَّ إبليس بعصيان أمر اللّه الطَّردَ والإبعادَ من الجنَّة، وهي وإن لم تذكر في هذه الآية، فالقِصَّة تتضمَّنها، أمَرَه اللّه بالخروج منها، وجعلَه مرجومًا، أي: مطرودًا مُبعدًا، لا يستحقُّ الإكرامَ والمنزلةَ العاليةَ، فقال اللّه تعالى له: فاخرُجْ منها، فإنَّك مَشتومٌ مُحقَّرٌ مذمومٌ[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجم).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (رجم).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/30.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/361، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/26، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/534، والزحيلي، التفسير المنير: 2/1221.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الاستئناف في الآية:

العدوُّ الأوَّل للبشر هو إبليس اللَّعين

جاء قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾ على طريق الاستئناف البياني، كما هو حالُ أكثرِ آياتِ هذه القصَّة، لاستمرار إصغاء المخاطَبين وتنبيهِهم إلى منشأِ عداوةِ عدوِّهم الأوَّل.

فائدة الفاء في قولِه: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾:

أعظم الكفر تخطئة الخالق سبحانه في أفعاله وأوامره

الفاءُ لِتَرْتِيبِ هَذا الجَزاءِ عَلَى ما ذُكِرَ مِنَ الذَّنْبِ قَبْلَهُ؛ إذ مقتضى تعليلِ إبليس أنَّ اللّه خلق خلقًا مفضولًا، وكلَّف أفضلَ منه أنْ يَذِلَّ له، فكأنَّه قال: وهذا جور وظلمٌ، فهو بمنزلةِ التَّصريح بِتَخْطِئَةِ الْخالِقِ، فكان جوابُ إبليسَ مُنبئًا عن كفرِه وعدم تأهُّلِه للبقاء في الجنَّة أو في السموات، فاسْتَحَقَّ الخروجَ[1].

دلالة الأمرِ في قولِه: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾:

خروج إبليس من الجنَّة مقترنٌ بتحقيره وإهانتِه

أفاد الأمر هنا طلبَ خروجِ إبليس من الجنَّة، واقترن بالطَّلب معنى التَّحقير بقرينةِ السّياق، والمعنى اخرجْ منها محقَّرًا مذلولًا .

مناسبةُ عودِ الضَّميرِ في قوله: ﴿مِنۡهَا﴾:

البقاء في موضع الطُّهر والنَّزاهة نعمة والخروج منه عقوبة

لم يَتَقَدَّمْ لِلضَّمير مُفَسِّرٌ يَعودُ عَلَيْهِ، ولمّا كان الضَّميرُ متعلِّقًا بالفعلِ ﴿فَٱخۡرُجۡ﴾؛ دلَّ على أنَّ ما يعود إليه الضَّمير هو موضعٌ منزَّهٌ شريفٌ، لتعليلِه خروجَه منها بأنَّه رجيمٌ خبيثٌ مشتومٌ، كما أنَّ الموضعَ يوصف بالتَّأنيث، وهو معلوم بين المتكلِّم والمخاطَب، فلمّا كان الضَّمير عائدًا على غيرِ مذكورٍ في السّياق، وكان معلومًا من تكرُّر هذه الحادثة في القرآن أنَّ إبليس كان في الجنَّة، وكان مع زمرة الملائكة في السَّماء، فيحتمل أن يكون المراد: فاخرج من الجنَّة، أو فاخرج من السَّماء، أو فاخرج من المنزلة التي كنت عليها في الملأ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/361.

الأعلى، أو فاخرج من زمرة الملائكة، والظّاهر هو الأوَّل[1]، ولا مانع من إرادة أكثر هذه المعاني، وإنَّما لم يصرِّحْ بمرجعِ الضَّمير؛ لأنَّ النَّظرَ موجَّهٌ إلى الخروجِ من موضعٍ لا يستحقُّ أن يكونَ فيه، وليس إلى ذكرِ المكانِ المخصوصِ الذي يخرج منه، كما أنَّ المقامَ مقامُ إنذارٍ ووعيدٍ في سياق الإخبارِ عن تكبُّر إبليسَ وعتوِّه، فكنّى بالضَّمير للإشعارِ بتنزُّه شأنِ الجنَّة أو السّماء وشرفِهما، وأنَّه ليس فيهما إلّا ما يكونُ طاهرًا نقيَّ السَّريرة غيرَ متكبِّرٍ ولا متعالٍ، وللتَّنبيهِ على قبحِ طويَّةِ إبليس وخبثِه.

فائدة (إنَّ) في قولِه: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾:

لا يجتمع خبثُ النَّفس وقبحُ السَّريرة مع البقاء في الجنَّة

أفادت (إنَّ) في قولِه: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ تأكيدَ مضمونِ الجملةِ وتقريرَها عندَ المخاطَب، كما أفادتِ الإيذانَ بالتَّعليل، وَذَلِكَ إيماءٌ إِلَى سَبَبِ إِخْراجِ إبليسَ مِنْ عَوالِمِ القُدُسِ، وَهوَ ما يَقْتَضِيهِ وَصفه بالرجيم، أي: اخرج منها؛ لأنَّك رجيمٌ، ففيه إشارةٌ إلى نزاهةِ المكان الذي كان فيه وطهارته، وأنَّه لا يجتمع خبثُ النَّفس وقبح السَّريرة مع البقاء في الجنَّة، أيْ: حَيْثُ ظَهَرَ هَذا فِيكَ، فَقَدْ خَبُثَتْ نَفْسُكَ خُبْثًا لا يُرْجَى بَعْدَهُ صَلاحٌ، فَلا تَبْقَى فِي الجنَّة ولا في عالَمِ القُدُسِ والنَّزاهَة[2].

فائدة مجيء الكلامِ بصيغةِ الخطاب:

الإهانة بطريق الخطاب أشدُّ من أن تكون بطريق الغيبة

تقدَّم أنَّ المخاطبة بين اللّه تعالى وإبليس كانت على سبيل الإهانة والإذلال، ولمّا جاء الأمرُ بإخراجِه من الجنَّة أو من السَّماء، ووصفُه بالرَّجيم على طريقِ المخاطبة؛ كانَ أشدَّ تحقيرًا وتبكيتًا للَّعين من أن يكون على طريق الغيبة.

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 3/58، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/361، والرازي، مفاتيح الغيب: 19/141، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/211، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/534، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/76.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/47.

بلاغة الكنايةِ في قولِه: ﴿رَجِيمٌ﴾:

وُصِفَ إبليس بالرَّجيم ليفيدَ معنى الرّمي والطَّرد والإبعاد والقبح

لمّا كان الرَّجيم بمعنى المطرود - كما هو الظّاهر - كان التَّعبير بالرَّجيم على سبيلِ الكناية؛ فإنَّ مَنْ يُطرَدُ على سبيلِ التَّحقيرِ والنبذِ يُرجَم بالحجارة غالبًا، أو هو ممّا ينبغي أن يُرجَمَ بالحجر، كما أنَّه لمّا كانَ الرَّجمُ يأتي بمعنى السبِّ والشَّتم؛ دلَّ على أنَّ الوصف على معنى الرَّمي والطَّرد والإبعاد والقبح؛ ليفيد التَّحقيرَ، فيكون الطَّرد على سبيلِ التَّحقيرِ لازمًا للرَّجم لزومًا عرفيًّا، والمعنى: فإنَّك مطرودٌ من كلِّ خيرٍ وكرامةٍ، ويحتمل أن يكون كنايةً عن كونِه شيطانًا يُرجَمُ بالشُّهب(1).

دلالة الوصف بصيغة (فعيل):

المبالغة في وصف الشيطان بالطَّرد وقبيح الفعل والقول

لمّا كان ﴿رَجِيمٌ﴾ بمعنى مرجوم؛ أفاد التَّعبير به بصيغة فعيل المبالغة في الطَّردِ والإبعادِ والشَّتم، وسواء أكانَ الطَّرد بالإبعادِ من الموضعِ المنزَّهِ أو بالرَّجم بالشُّهُب، والمعنى على المبالغة هو أنَّ طردَه أقبحُ أنواعِ الطَّرد وأشدُّه، وأنَّ بُعدَه عن الله تعالى وعن موضعِ التَّشريف أشدُّ أنواعِ البُعدِ.

سبب إيثار مجيء ﴿رَجِيمٌ﴾ خبرًا:

وصْفُ الرَّجيم صفةٌ ثابتةٌ للشيطانِ

لمّا جاء لفظ ﴿رَجِيمٌ﴾ خبرًا عن ﴿فَإِنَّكَ﴾؛ دلَّ على أنَّه صار صفةً ثابتةً له معروفًا به بحيث يخبرُ به عنه لاشتهارِه به، مع المبالغة في المعنى.

بلاغة الجمع بين فائدة الخبر ولازمِها في الآية:

الكرامة في الامتثال لأمر الله، وليس في أصلِ الخلقة ونوعِها

فائدة الخبر - في قولِه تعالى: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ - هي أمرُ اللّه تعالى لإبليس بالخروج من الجنَّة، وأمّا لازمها؛ فهو وعيدٌ له يتضمَّن الجوابَ عن شبهتِه، فإنَّه لمّا ادَّعى لنفسِه الفضل

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/102، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/211، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/152.

والخيريَّة ظنًّا منه أنَّ الكرامةَ والفضلَ في مادَّة أصلِ الخِلقةِ؛ كان كأنَّه قال: أنا أهل القربِ والقبول، فأجيب بهذا التَّركيب ليفيدَ بلازمِه أنَّك من أهل البُعد والطَّرد لا من أهلِ القربِ والقبول(1).

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/211، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/76، وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 11/153.